Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أم هل قصرت عنه ووقفت دون غايته ، هذا البحث الجليل قد اختفى فى بلاغة المتأخرين ، و لم يجد له فيها مكانا ، لافى المعانى ، ولا فى البيان والبديع .

أما البلاغة فقد جالت فيه جولات صادقة . وأبدت من الاعتداد به ، مايدل على مقدار مافيها من حياة وقوة ، ومقدار ما لرجالها من مهارة فى فهم نواحى الجمال ، وفنون البلاغة فى الكلام . فلم تقف عند صور الاستعارة والتشبيه وجملة فنون البديع ، ولا عند صور المعانى فى التركيب ، وما يتعاقب على الكلمة من تعريف وتنكير ، أو تقديم وتأخير ، أو حذف وذكر ، بل جاوزت ذلك كله ، وبحثت فى جوهر الألفاظ وفى مقدار وحيها إلى الذوق ومبلغ تأثيرها فى النفس واعرابها عن القصد ، وكفايتها فى أداء الغرض .

نعم ، قد عرض المتأخرون لشىء مما يتصل بطبيعة الكلمة وبنيتها ، ولكنهم لم يزيدوا فى ذلك على التنافر والغرابة ومخالفة القياس ، فأما ما وراء ذلك من رقة وعذوبة يقتضيها المقام فى مثل الغزل والعتاب ، والتشوق والاعتذار ، ومن قوة وصلابة يتطلبها الإنذار والتهديد ، والزجر والتخويف ، ومن شرف وفخامة فى المدح والرثاء ، وهزل ومجانسة فى التهكم والهجاء ، فقد سهوا عنه وقصروا فى حقه ، وتجاهلوا من قدره .

ولعل عذرهم فى هذا التقصير ، ان هذا الفن من سياسة الألفاظ لايخضع لقانون يحده ، ولايمكن أن توضع اليد فيه على أصل ثابت معين ، وإنما أصله وما عليه المعول فيه ، هو الذوق والعرف والاستعمال . وهذه امور لاتنضبط ولاتحد ، لأنها تختلف باختلاف البيئة والعصر ، والعرف الأدبى والاستعمال السائر . وقد علمنا ان هذا العصر عصر تحديد وحصر ، وتقنين وضبط ، فلا عليه ان يهمل هذا الفن الذى لاينضبط ..

ولو انهم اخذوا فى دراسة البلاغة بمذهب التقريب ، ولجأوا إليه فى التعريف والتصوير وقنعوا بذكر المثل والمشاهد والموازنة بين أساليب العرب فى أغراضها المختلفة ، لوجدوا فى تراث العصر الأول ما يروق ويعجب ، ولبنوا عليه فى هذا الفن بناء شامخا ، ولجانبتهم تبعة التقصير فى حق كثير من فنون البلاغة العالية .